مع حفيف أوراق الخريف

مع حفيف أوراق الخريف

ندا ذبيان

مع حفيف أوراق الخريف

تأليف: ندا ذبيان

الطبعة الأولى: ٢٠٠٧

عدد النسخ: ١٠٠٠

الإخراج الفني وتصميم الغلاف: فيصل حفيان

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ـ تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

الإهداء

.......إلى قارئي



المقدمة

الأدب رسالة سامية تحمل الإنسان نحو آفاق عذبة وجميلة، لها سحرها المباشر على النفوس والعقول.

والشعر ليس مجرد كلام، قد ينسب إلى زمان أو مكان، الشعر هو البوح الصادق، والتعبير الأخّاذ، يتجلى بأرق الكلمات، وأعذب النغمات.الشعر تأسيس لثقافة ووعي وحياة. فيجب أن يكون مقروناً بالتفكير، لأنه يطال النفس الإنسانية ويحاكي الواقع بكل همومه وقضاياه. وكلما زادت حدة التأثر لدى الشاعر كلما ازدادت القيمة الجمالية للشعر. وحين لا يقترن المعنى بالحكمة والمعرفة، ينتفي دوره كرسالة سامية لأن هدف الشاعر الحقيقي هو إيصال المُثُلِ، والقيم، وبثُّ روحِ التفاؤل، رغم كل العقبات والمعوقات.

إن معظم الشعر الحديث يعتمد الإبهام، مما يصعب على المتلقي استيعابه، فلا يستفاد منه، لما فيه من ضبابية وغموض، وأحياناً

قد يربك القارئ، فيغيب عنه المضمون وتتشابك أمامه المعاني، ويضيع في التأويل.

ولكن تجربتي مع الكتابة كانت مختلفة كلياً. فكنت أكتب في عمر مبكر وقبل أن أقرأ أحداً من الشعراء.

كانت كتاباتي مجردَ خواطرَ، تتشكل من القلق، والسؤال، والبحث عن الخلاص، ولم تكن صنعة أو حرفة، أو هواية، بل كانت المتنفس الوحيد الذي يزيل من أمامي الضيق والضجر الخانق، التجارب وحدها علمتني، وكانت هي الأساس وهي المحرك الأول للكتابة.

وعندما رجعت لأنفض الغبار عن تلك الذكريات المهملة وجدت فيها ما يستحق الاعتبار فعملت على صقلها من خلال العلم والثقافة. وما شجعني على تعميق هذه التجربة، هو ما لقيته من تشجيع وثناء الكثيرين، وتصديت لواقعي ومع الصمت المطبق في لحظات الوجوم عاتبت زمني، ثم حاولت أن ألمس سبيلي لإلى الخلاص.

فكان الكتاب الأول: (ابتهالات على ضوء القمر) خلاصة تجارب متنوعة تمتد لسنوات تجاوزت حدود المكان ومراحله

وكانت النصوص مزيجاً من الأسى والتفاؤل، والصور المشرقة النابضة بالحياة، رغم كل المآسي التي تعصف في عالمنا، من عنف وقتل ودمار.

وكان أملي ورجائي أن تسود المحبة، وينتفي التعصب الأعمى، والعنصرية المقيتة، وهكذا جاءت كتاباتي تأسيساً لحياة لها قيمة، وتكريساً لمشاعر المحبة، ونبذ العنف والجريمة.

ولن أطيل فمحطات هذا الكتاب تنبئ عن مضامينه وأشكر قارئي وناقدي.

ندا ذبيان

تصدير

من فضلك ...

أعطني من وقتك دقيقة

قد تلمح بين سطوري حقيقة.

دعني أقدم لك باقةً

عربونَ محبة وصداقة

كلمات ملونة

سطور مزيّنة

صدق وقائع

ورهافة شعور.

وإذا كنت تعاني كما أعاني

أو تشعر ببعض النفور

فلن تقابل كلماتي بفتور.

أريد أن أكتب بحروف جديدة

تمكن الأفكار من آفاق بعيدة

ولن أقول ما يتنافى مع مجمل العقائد

لا أريد لثورتي أن تلهب المكان.

بالحب... بالفكر...

يتحرر الإنسان.

* * * *

إيقاع اليراع

الشعر في النفس يتغنى

من حنين الروح

من دفق المواجع يتجلى

الأشعار مثل الأسفار تأخذنا

ترانيم تهيم

تسافر عبر الحدائق

وفوق المدن تحوم

تعشش في زوايا الأسرار

وفي عمق الوريد

تَنْشد التجديد

لا تخاف الشمس إن تعرت

ولا الوهج إن احترقت

تغسل ذاتها من عفن الماضي

تبحث عن السرور

تعاند القدر

كي لا يبقى في نهار العمر حيرة

أو بقايا من ضجر.

ليس أجمل ! ولا أبهى

من إيقاع اليراع

من نغم

ينبذ كل ألوان الصراع

الشعر مواويل دواوين

عناقيد معلقة

في كروم الذهب

تقطر سحراً

تُفرِحُ القلب الحزين.

* * * *

كبرياء

اختاروا الظهور

واخترتُ التخفي

كانوا للغرور

وكنتُ لنفسي

بهرتهم القشور

فأخطأوا الحساب

ومن فرط التعالي

أصيبوا بالقصور

فخسروا في الضلالة

حلاوة اللباب.

اختاروا الظهور

واخترت التخفي

فجعلت الليل شراعي

وانتشحت بنور حدسي

وفي روعة سكوني

لمعتْ في عيوني

إشراقةُ الحبور.

شمخوا في الأعالي

وكنت في الحضيض

وبقيت في الظِلال

من علمي أستزيد

فقويتْ عظامي

ودمائي في الوريد

ومن كبوتي نهضت

كي أَخْلَقَ من جديد.

وهكذا انتصرتُ

على هَوَسِ الفناء

واستفاقت عيوني

في روعة السماء

وتلاشت من خيالي

هواجسي السوداء

وما راعني في زماني

مثل قبح الكبرياء.

كبرياء

يا أشد أنواع الغباء

يا وجهاً دون خشوع

دون دموع

دون حياء.

لم التعالي

لم ازدراء نفوس الضعفاء

لم التعالي

وكلنا في الفناء سواء

لم التعالي لم التسامي

وكلنا خليطٌ طين وماء

كبرياء

يا محطم الرجاء

تمشي الخيلاء

كطائر مشؤوم

ينعق في الخلاء

كبرياء

يطغى على بحر الصفاء

كبرياء

يا أشد أنواع البلاء.

لا تزدري ألمي

ولا صمتي الوديع

لا أطيق التعالي

ولا وهج الثناء

دعني في مكاني

بين البسطاء.

* * * *

سحر الخريف

-١-

سنوات عبرت بسهولة، نقشت على وجهي كآبة خجولة
قضى عمر الشباب والطفولة، فأنا على أبواب الكهولة
أستعد لترك أحمالي، خلف تلك المسافات.

رمال عمري جرفتها السنين
فضاع زماني بين الصبر والحنين
جسد أثقلته المآسي، ولم يستعبده الأنين.

يا أحلام عمري خذيني
لا تتركيني أصارع النهاية

أعيديني إلى دفاتر تعج بالحبور

تزخر بأسمى العطور

ترفرف حولي فراشات، وأغنيات

ونبرات، روحها لا تزال، تخفق بين القوافي

وتنساب أنغاماً، مع حفيف أوراق الخريف.

سنوات عبرت، ونقشت على دروبي خطاها

وزرعتني على ضفافها، حكايات وأمنيات.

في العمر مَفارق

يعبرها كل مُفارق

لصنوف الذكريات.

-٢-

كنت أبنيك يا صرح خيالي،

أتوق أن أحميكَ من غدر الليالي

صدّقتُ تعاليك... غرقتُ في ضلالك ولم أبالِ

كنت أطوف فوق واقعي، أبحِرُ في شراع عواطفي

فأستبطن الألم والضياع، أنهيت ترحالي باختياري

وجمعت كل قطوفي وثماري

وانتظرت مَطلِعَ نهاري

كي أنطلقَ بين الدروب.

-٣-

إذا أنت نأيت، وارتأيت أن تسافر

لا تترك الربان مسلوب القُوى

تائهاً بين بحور الجَوى

سلمه دفة القيادة، دعه يرشدْك نحو شطآن الهدى

فهو عليم وخبير، يعرف متى يقرر الوداع

متى يدير الشراع

كي لا يتوه المركب على عماه...

فتحطمه الأنواء، وتقوده الأهواء

فينزلق، و ينصاع.

كان رباني

علمي وإيماني

وكان نصري، قبولي لنفسي

وإن اكتست برثِّ الثياب.

وكانت ثروتي

زهاء عزتي

التي هشّمت وجه الذئاب.

مع حفيف أوراق الخريف

مع حفيف

أوراق الخريف

يسفر الصبح

عن وجهه اللطيف.

وتأخذني المسافة

إلى وهجٍ ظريف.

مع حفيف

أوراق الخريف

يأخذني

طيف خِلٍ أليف

فتختفي المسافة

فوق رملْ الرصيف.

مع حفيف

أوراق الخريف

يكتسي الهلال

ثوب فرح

خفيف

ويكحل بنوره

كل جَفن

نظيف

مع حفيف

أوراق الخريف

يغسل الرذاذ

كل وجه

مخيف.

ويبعثر الهواءُ

كلِّ وزن ضعيف.

فلا يبقى في الشتاء

إلا الجسمُ المنيف.

* * * *

سحر الأحلام

لا تقل النهاية

لا تقل انكسار

الحلم يستمر

لآخر المسار

فتشرق السعادة

مع مطلع النهار.

الحُلم الكبير

ليس بين القصور

ولا الملاهي

الحلم الكبير

حلم الشفاء

من الوباء

ومن داء المصير

حلم النجاة ليائس غريق

حلم التآخي

والرفيق والطريق

وحلم التلاقي

لا يضاهيه بريق.

الحلم الكبير

بدر منير

ساحراً آسراً

فوق التلال

سحره صعب المنال

حتى في الخيال

ولعل أجدى ما يقاُل

حلم الوصول إلى الكمال

محال.

الحياة ليست تراباً

ولا مالاً

الحياة آمال ومآلْ

و رُبَ - وَهْمٍ أو ضلال.

ولعل أصدق ما يقُال:

حلم الكمال محبة

وشغفٌ وعزةٌ، وخبرة

الحياة مَجِدوها

تعلمّوها

ولا تضيعوها

بين العنف والسِجال.

حلم انطلاقي

يأبى بقائي

في عالم الخمول

يأمل إعتاقي

من أعنف الميول.

الحلم يستمر

لآخر المسار

ويبقى لنبنيَ

لنجنيَ الثمار

ليس في استسلامي

سلامي

ولا في ثورتي

كلامي

ولم ألاقِ في الفِرار

غير الاندثار.

* * * *

رغم الرياح

-١-

لا تخدعيني يا ظنوني

حاوريني في سكوني

أنقذيني من عذابي

لا تزيدي من شجوني.

لا تخدعيني يا عيوني

واتبعي وِسْعَ المدى

لا تنظري في الثرى

فما دون الثريا

وهْمٌ، وهَمٌّ، وخيال

الواقع كله مُحال

لا يستقر له حال.

-٢-

لا يَخدعنَّك طيفٌ

ولا زيف

ولا شروق صيفٍ

أو غيوم شتاءٍ

لا دوامٌ لفرحٍ

أو بقاءٌ لشقاء.

الحياة مجرد آمال

مجرد طيف في الدجى

لا تصلح أن تكون مرتجى.

-٣-

سَيان عندي بين حلمٍ وحقيقة
فالوقت يُحتسب بذات الدقيقة
قد تبعث في الأحلام بشائر رقيقة
قد تُحفظ الأيامُ في دفاترَ عتيقة.

لن أتهاوى، لن أتوارى
لن تأخذَني، دنيا الحيارى
كي يتلاشى السَخْطُ، ويندثر.

رُغم الرياح العاتية
أينعت تلك الروابي
ورغم أعاصير الجليد
تفتّح زهرُها من جديد.

عتاب

ضقت ذرعاً بكتماني

طالما الهجر أعياني

لا تقل نسيت يوماً

ما خفق لغير طيفك جَناني.

يا من كنت في عمري

صباحي وجناحي

كيف صرت دواوين جراحي

غاب عن وجهي ارتياحي

وذبلت أزهار صباحي

وصار القلبُ حزين.

هل كان قَدَري

ألا أتخلى عن وَجَلَي

أريد أن أتحدى

أن أتخطى حدود المسافة

أريد أن أقطفَ باقةً

لتجفَّ بين صفحات

كتابي.

لو شاءت الأقدار

تحرِّكُ نبضَ القلوب

لو شاءت الأقدار

تدورُ أحاديثُ الهوى

خلف الستار

ولن يحول بين المنفى

والملتقى أي جدار.

قد يضيع من العيون بريقُها

ومن الأيام عنفوانُ الشباب

ولكن الذاكرةَ لا تضلُّ طريقها

حين تُخَاطِرُ الأحباب.

* * * *

حين تفتح الأبواب

-١-

أريد أن أحيا يوماً لذاتي لذكرياتي

حبذا لو يكون في عالمي إشراقة فجر تنادي.

ما معنى العمر ما دمنا لا نمتلكه !

وماذا تعني لنا الأيام والغوادي !

لا تسألوني عن حالي، وما ببالي

دعوني وحدي، أَنشُدُ صمت الليالي.

لن أنكر نفسي

لن أدوس على حدسي

لطالما تجدَّد يأسي

في آفاق حرماني.

لا أريد مزيداً من القيود

أريد التنصل من الوعود

لأن الوقت يقهرني

ولن يمهلني

ولو ثواني.

-٢-

كيف لا أبالي

وأنا أدرك ما صار إليه حالي

أتوه في الأحلام

التف برداء الأماني

أفتش في زوايا العمر

عن ثواني

قد تشعرني

بكياني.

هناك شعور يحركني

يوقظني من سباتي.

-٣-

كنت أرقد

وكان الحلم بعيداً

فلم أرَ في الأفق

سطوعاً أو تجديدا

وإن راودتني

من الروح ذكرى

كنت أخنقها

وأخنق معها حنيني.

الحال تغير

والقهر صار محالاً

لن أعيرَ اهتمامي

لِما سيقال

ولن أباليَ بصقيع الشتاء

ولا بالرياح العاتية

وكلما أطبقتْ

يد الأسقام

على خناقي

تمتد يد الأيام

لتفك وثاقي.

لقد رحلت فلول الطيور الحزينة

ولم تستوقفها دموع الوداع

لقد ولى وانقضى

طيف الضَياع.

-٤-

حين أمتلك نفسي

يزول بؤسي

وتنشرق بهجة نهاري

ويتدافع الشوق كالموج

فوق شطآن جِناني.

دعوني وحدي أحيا اختياري

ولن أباليَ بكبْوتَي .... لا لن أباليَ

إذا كان على درب صحوتي

وقْعُ احتضاري.

* * * *

ثقيل هذا الرماد

يا ضيعة المُراد

والحب والوداد

كم تفانيتُ في المحبة

وما وجدت المحب

ذبل زرع التفاني

وتخطاني زماني

بكل غدر واعتداد.

لا تلوميني

يا زهرة شبابي

إذا طال عنك اغترابي

بين ضباب الوحشة

وفي خضم البعاد.

تركت أصحابي

ضيعت أسرابي

فزاد اغترابي

وأضجرني الانفراد.

أهملت قضيتي

نسيت هويتي

ضيعت عمري

بحثاً عن صدى

عن ترداد

فلم أرَ

اخضرار المدى

وسط اصطخاب البلاد.

ولم ألاقِ

غير احتراقي

وجمري المبعثر

تحت الرماد.

الحقد لا يطاق

لا الكره ولا النفاق

أقاوم الجمود

أستجمع الحُطام

لا أطيق بقائي

من أجل الانتقام.

يا ضيعة المُراد

أقفرت المحبة

في صحراء الجراد.

* * * *

العودة

أيها الراقدون إلى الأبد على كتف الوادي، وفي أتون الحياة.

يا من تقبعون في الظلمة المستنيرة، وتغرقون في صمت طويل، بعدما هدَّكم الرحيل، وأضناكم السهر، فوصلتم الآن إلى نهاية السبيل.

ألن ترتفع الأصوات من عالمكم، ألن ينهضَ أحدكم من غفوته الطويلة.

ألن يعيدكم حب التملك إلى أرض الفناء، التي أغرقتها أنامل الجريمة بِوابلٍ من الدماء.

كيف لا تهزكم العواصف، وكيف لا يتسرب إلى مخادعكم قبح الفناء.

هل حجبه عنكم كفن النقاء؟

لقد غـردت الطيـور فـوق خـضابكم، ونعقـت الغربان،وتثاقلـت فوق عيونكم وطأت الكثبان. واقع لم تنظروه، ولم يكـن لكـم في الحسبان.

انهضوا، وانظروا، أشجاركم الـتي غرسـتموها، أيـام كنـتم في سراب.

لقد كبرت أغراسكم، وغطت وجه التراب،وأينعـت ثمـاركم، ألا تحتاجون إلى تلك الثمار.

بالأمس كنتم تتقاتلون، تلهثون خلـف حفنـة مـن رمـاد، طالمـا أحرقتكم بحرارتها الوانية.

الآن – لا صراخ في عـالمكم ولا شـجار، لا في الليـل، ولا في النهار.

كيـف توحـدتم، وتـآلفتم، دون أن تفـصل بيـنكم حـواجز، ولا أسوار.

ضاق العالم بأحقادكم ! ترى لما آثرتم الآن السكون ؟

من تلومون ؟ وممن تسخرون ؟ حين أبصرتم كل الحقائق.

ارفعوا أصواتكم ! علـها تـسمع هـؤلاء الراكـضين، اللاهـثين، على طرقات الطمع المحفوفة بالمخاطر.

أيها الراقدون في ظلال الأشجار السامية، حيث يخيم شتائكم الأبـدي، ويكفـنكم الـثلج بنقائـه، والربيـع ببهجتـه الغـامرة وصفائه، ناثراً على روابيكم أزاهيره العطرة، وكأنها أكاليلُ لذكراكم.

حـين تأملـتُ آثـاركم، ووقفـتُ علـى أطلالكـم، لم تعـد حيـاتي مِلكاً للظلام.

لحظات ذهول

كنت أقصد البحر أيام الربيع، كان العمر شباباً، والجو بديع.

ذكريات تبقى معي ولن تضيع.

كنت أجلس على الرمال أبُحر مع الخيال، كان البحر يحتوي سكوني، ويغرف من مستنقع شجوني حكايات، يبددها خلف تلك المسافات.

كنت أستعذب الأنهار... ولا أعرف ما الذي جرني خلف البحار... حيث تتوارى كل الشوائب، وتختفي عن الأنظار.

فجأة أيقظتني من غفوتي قطرة، نفثها البحر ورماها في وجهي...

قطرة... وماذا تعني بالنسبة للبحر قطرة.

إنها لا تُذكر، ولا تُنظر، ولا تَستحق التوقف عندها لبرهة.

وسط هذا اليمِّ، وهذا الكم، الذي لا يقاس.

هل يمكن أن أتناسى الكل وأفكر في البسيط، وماذا تعني قطرة ضمن هذا الخليط.

أذهلتني هذه الرؤية، وأعادتني إلى بداية الطريق، إلى مُثلٍ، ونبع، وأعالي.

إلى قطرات وتيارات تتدفق على التوالي، إلى حيث لا سكون ولا ثبات،

البحر فيض من قطرات، اجتمعت وغسلت في طريقها وجوهاً، ومحت حكايات.

لم يعد البحر أمامي كلٌ وبعد آفاق، بل صار أجزاءَ وأجزاء، ومكمنَ رُعبٍ، وفناء،

تندثر فيه كل الرواسب، وتختنق في أعماقه مجمل الروايات.

أيعقل أن أغير مساري، ووجهتي ومكاني، بُغْيـة الوصـولِ إلى نبع الأصولِ إلى ماضي الذكريات، إلى تاريخ البدايات.

قطـرة... كانـت بدايـة لمـشقة... لرحلـة، أبعـدتني عـن عـالم مشوه، يَستبطن الضياع، فأَسقطت عنه القناع.

الـصدفة تـضعنا أمـام المفـارق، لكنهـا تـسلبنا حريـة الاختبـار، فنتعثــر بــين المــسالك، حــين تتــصارع في داخلنــا، القــيم والأفكار.

إن القطـرة الـصافية، كـالفِطرة، تكمـن في الأعمـاق، وحـين للنــور تــشتاق، أو حــين تــشعر بالاختنــاق، تمقــت القــاع ، والصراع، ثم تغلي وتثور، كـي تعـود إلى الجذور، إلى عـالم اليخضور، كي تبُحر في سنابل القمح، في لبُ ِ الرغيف ، تـأبى اصفرار الخريف، وانكسار الضعيف، وتمرد الأغبياء.

واستمرت رحلتي، رغـم تعاقـب الفـصول، ولا زلـتُ في تَـوقٍ، وشوقٍ للوصول.

رأيت في طريقي اخضرار المروج، وتذوقت حلاوة الثمار، ولدغتني أشواك القفار.

ولن أصل إلى الأعالي، ولن أجدد الأفكار، إلا حين يغطي الثلج دفء كل الليالي، وحين يتسرب إلى أعماقي بردٌ الشتاء.

العمر ينسكب من الأعالي، ويضيع خلف الماضي المترع بألوان الذكريات.

* * * *

ما بعد الغروب

يا شمعتي...

تدركين لوعتي

كنتِ في ليلي

نور وحياة.

تؤنسين وحدتي

تمسحين دمعتي

وكان بريقك يطغى

على كوابيس الظلام.

يا شمعتي

لا أطيق التماشي

مع أطياف الهموم

ولو غرقت المآقي

بالدمع والسموم.

منذ مهدي، كان أَسري

ودم الحرمان في عروقي

بات يسري.

فصار احتراقي

سرَّ بقائي

وانساب شقائي

نوراً وسطوع.

فلا تعجبي كيف أتوق

للنغمات، للأمنيات.

ففي عالمي بدر منير

ساطع النور مشرق الصورة

من وحيه أهتدي

وبه أستضيء.

سيبقى للعمر طيفٌ

بعد الغروب

ولن تنتفيَ الشمعة

حين تذوب

سيبقى في الآفاق نورها

وعلى الأرض نفحات حضورِها

كي تعاودَ الصحوَ وتستفيق.

* * * *

وجوم

أيها الليل إني أناجيك، هجرتُ النومَ حتى أناديك.

وحيدةً وسط ظلامك، سابحةً في بحر أحلامك

خائفة من سكونك وأشباحك.

أيها الليل إن توغلت داخل قلبي، ستجد لك صديقاً

فكن محباً، ولا تجعل أنفاسي بك تضيق

يا ليل... أسدل ستارا على المواجع في الصدور

وانثر براحتيك النعاس، وخذني بعيداً، في غفوة.أمام بابك المشرع للذكريات.

يا هدوء الليل! ليس عندي أبهى، ولا أسمى، من هذا الوجوم، من روعة النجوم، حين تسطع، رغم القتام، رغم الظلام، رغم تدافع الأيام، كبريق أمل حلو يروم.

عاهدني يا ليل... بأن تُبعِدَني عن حيرتي، عن حرماني.

كفاني يا ليل، ما أعاني ! ...

* * * *

أصداء الحكماء

كائن مجهول... ! رأيته من بعيد، لفني الذهول.

هجر الجميع وجاء يسكن الحقول، بحثاً عن مزيد من العِبر.

لم تخنَقه الوحدة، ولم يوافه الضجر.

جرّنا الحديث... فأصبح بالنسبة لي خيرَ جليس.

كيف أمكنني أن أدخل عالمه، أن أستمع لشكواه، ولم يربكه وجودي، أو يزعجْه تطفلي.

عرف حقيقة الشوق، فذرف دموع المحبة.

عرف معنى العطاء، فبنى هيكلاً زاهياً من الورود.

يُحب العطاء لا يَزدري الضعفاء، يزرع المحبة فيرقى بها، مثلما الأرض ترفع أشجارها، المثقلة بالخير نحو السماء.

قال: أن الصدق تخنقه كثرة الوعود. وأن القناعة يقتلها الطمع.

حرَرَ حياته من كل رغباته. وآثر الصفاء، والورع.

إن الحياة في ضوضاء المدن تخنقه.

ولن يركض هارباً من الوقت، فهو يعلم، أن الوقت سيدركه

فالعمر لن يتوقف، مهما حاولنا أن نوقفه.

كائن محب وفكره مستفيض، يستخلص العبرة، جبار مريد، يجدد الأسس لعالم جديد.

عالم مسحور، نسيج من فرح وحبور، وأناشيد مترعة بالنور.

بين أحضان الغابات، تتكشف ضحكات قريرة، وتتبدد آخر قطرات الدموع.

وتتراءى الأشياء بصفائها - لم تتلونْ بعدُ ذيولُها، ولم تـتغير ميولها، ولم تنطفئْ عقولها، حيث لا يوجد مجون أو ضياع.

بالأمس كنت أظن أن عالمه مُحاط بالغموض،مُثقل بالقيود، واليوم أدركت أنه عالم ليس له حدود.

حياته ملؤها النور، النور أساس الخير والحبور

فلا الليل دونه ينجلي، ولا الظلام يزول.

الحق نور، والخير نور.

والحب الذي نردد كلامه، ونعزف ألحانه، قبساً ونور.

وليس أهواء، أو غرائز، أو ميول.

* * * *

الخلاص

أيها الطائر السجين!

كفَّ عن صراخك

لقد سجنوك ولعاً بغنائك

ولم يسألوك يوماً عن معنى النشيد.

ضللوك وأمطروك بالوعود

أسروك، لأنك إذ تحلق

قد لا تعود.

غمرتك الأيام تعاسة!

ربيعك ولى قبل الغروب

ليتك بقيت هائماً بين المدن

مغرداً عند الدروب

ليتك بقيت مسافراً

في أقاصي الأرض تجوب

ليتك بقيت في الأعالي

تائهاً لا مبالي

بمفارق درب أو حدود.

ما عاد في لفظك تحدٍّ

ولا في مرجك ورود

ذبلت كل أوراقك

وغامت أحداقك

ولم تذعن لسجانك

ولا لأضاليل القيود.

طائر مسكين! منهك سجين

كيف له أن يناغي

والبوح أنين.

يا طائر المحبة

يا أجمل الأجناس

كفَّ عن صراخك، واحبس الأنفاس

ففي السجن فراغ، ويأس لا يقاس

تناسَ آلامك، حلق مع أحلامك

فآفاق الأحلام، لن تداس.

فتش عن مخارج، لا شيء مستحيل

فلحظة النهاية، لم تأذن بالرحيل

ابسط جناحيك، رغم السجن الثقيل

حرر ناظريك،وابحث عن دليل

ولا تنظر بؤس الشؤم العليل

فلا جدوى من الهزيمة

ولا من الحيرة اللئيمة

غرد واجعل دنياك رحيبة

نفحات عطر وماء سلسبيل.

لا تَدُرْ، لا تَثُرْ

وإن كان الحمل ثقيلاً

دعك من غرورك

ولا تطلب المستحيل

فلا بد من مخلص

ولا بد من سبيل

إن الرب يعطينا

فلنكتفي بالقليل

فهلل لذكراه

وهناك على ثراه

قد تبعث من جديد.

* * * *

حيرة

تركت خبزي للنار

وبيتي للغبار

وتركت صيفي للمطر

وأبحرت في دجى الخريف

أكابد العتمة والسهر

تركت بيتي للغبار

وتركت قلبي للحجر

ونأيت عن الديار

وعن ترّهات البشر

ولم آبه للسكون

ولا للوحدة أو الضجر

وانطلقت كالسيل

لا أتعثر في الليل

ولا يبهرني النهار

وكلما توغلت في القفار

وفرغ مزودي

لا ألاقي في جعبتي

غير كمٍّ من الأشعار.

هتفت للشمس، بإسرار

قلت لها خذيني

في حلاوة القدر

في عصارة الثمار

في همسات الندى.

قلت لها خذيني

انثريني على وجه البحار

بحاراً تائهاً

لا يعرف الحدود

ولا يدرك المدى

لا يسمع جلبة البؤس

ولا يرى دموع اليأس

أو يستشعر هول الدمار.

استنشرس البأس

وطفح الكأس

فاستفاق الغدر

وأظلم النهار.

* * * *

نسيان

أيتها الأنامل الرقيقة عودي

لرسم الظِلال على الرمال

عودي لتسقي ظمأ الأرض

وتنعشي براعم الخيال.

أيتها الأنامل الرقيقة

إن الحب يفارقنا

زيني له المفارق

واعزفي له

أهازيج فرح .. وأغنيات.

أيتها الأنامل الرقيقة

دعكِ من رعونة الزناد

من صلابة الحديد

من خبث العناد.

لأن الزمن قصير

والعمر يذوي

وكل الأشياء تتهاوى

إلى ما بعد الذكريات.

أيتها الأنامل الرقيقة

امسحي الدموع

واشعلي المصابيح

علنا نتبصر ونستريح

علنا نرتدع عن كل قبيح.

راعني هول الدمار

وثقل الخراب

غيوم مسمومة

أحرقت وجه التراب.

يا دعاة الحرب

يا أنياب الذئاب

وألوان الغراب

اذهبوا وقهقهوا بعيداً

وخذوا الغدر والعذاب.

كفى غروراً

كفى اغتيابْ

حولتم الأرض الجذلة

قحط يباب

فهل يجدي بعد الموت

حوار أو عتاب.

أيتها الأنامل الرقيقة

خذيني في ثراك

و ازرعيني على هواكِ

بين بساتين الربيع

ولا تضني بالحب

أو تخنقي المسافات.

إن العمر قصير

يتحطم ويذوي

وتُنسى الذكريات.

قبول

كل الأعراق عرقي

وكل الأديان ديني

هذا هو إيماني

وهذا جوهر يقيني.

كل الآفاق لعيني

وكل الأحداق لحدسي

أرى فيها ما كان يحاكيني.

عرفت حدودي

ورسمت أهدافي

وعملت على تلافي

كل بغض أو سباب

لا الأهوال تضنيني

ولا المخاوف تثنيني

مهما كانت الأسباب.

* * * *

الأصنام

بؤسَ العلمُ الذي أضحى

بلا معنى بلا منحى

بؤسَ العلمُ الذي ضاع

واستهلكه الصراع

قد ينحني اليراع

من ثقل ما قيل وما شاع

عن شقاء الأمم

من تداعي القيم

ومن قَصص الوداع.

بؤسَ العلمُ الذي صار

مجرد بدعة

مجرد صنعة

وشبه قلعة

بلا مَنَعَةَ

وسط أشرار ونار.

بؤسَ العلمُ الذي صار

تقنيات دمار

وهدراً للوقت ومشقة.

وبؤسُ المُريدُ الذي تاه

فاستغرقه دُجاه

وغرق في عماه

فلم يستطلع عن كسب

أو يستجمع المتاع.

* * * *

أحياناً لا يجري الكلام

-١-

وأقفلت الباب أخيراً

وآثرت السكون

لأن الكلام من غير صداه

يجب أن لا يكون.

وأقفلت الباب أخيراً

وأطبقت الجفون

لأن النظر في غير مداه

قد يرُهق العيون.

-٢-

غيوم الخريف

لا أعلم كم تدوم

ولا خلف الغمام

كم تختفي النجوم.

-٣-

أسكن يا قلبي

ولا تتكسر

واتخذ لي موقعاً

على دروب الانتظار.

علها تتجلي تلك المآسي

عله يسطع ضوء النهار.

* * * *

المؤلف في سطور

- الكاتبة: ندا ذبيان

- كاتبة وباحثة اجتماعية.

- من مواليد لبنان ١٩٦٢/٩/٤

- حائزة على إجازة في الفلسفة من الجامعة اللبنانية، الفرع الأول.

- دبلوم خبرة في علم السكان.

- صدر للكاتبة:

ابتهالات على ضوء القمر : دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ٢٠٠٥

- تلفاكس: ٥٠٦١٣٢ / ٠٥

الفهرس